

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثالثة - العدد العاشر - صيف ١٣٩٢ش / حزيران ٢٠١٣م

صص ١٥٣ - ١٣٣

دراسة نقدية لدوافع التشاؤم بالغراب بين الفارسية والعربية

يحيى معروف*

الملخص

انعكست ظاهرة التشاؤم بالغراب منذ مئات السنين في كل من الأدبين: الفارسي والعربي. فكل شاعر فارسي أو عربي تكلم عن الغراب، احتج بأنه سبب للبين والخراب والدمار والهلاك. لاشك أن دوافع التشاؤم بالغراب متعددة بتعدد القوميات والدول. هذا المقال يذكر أهم دوافع التشاؤم بالغراب في كل من الأدبين: الفارسي والعربي، وفق العناوين التالية:

١. الخرافة والتقاليد الشعبية. ٢. كراهية الناس من اللون الأسود. ٣. القصص الشعرية. ٤. الأمثال السائرة. ٥. الأحاديث المنسوبة إلى النبي (ص). ٦. استخدام الغراب في الفنون الشعرية. ٧. الاشتقاق اللغوي للفظ الغراب. ٨. تقليد الآباء. ٩. الاعتماد على تفاسير الأحلام. ١٠. الانطباعات الحاطئة عن سفر التكوين في التوراة. فالمقال يسعى ليحيب عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أسباب التشاؤم بالغراب وظهور الخرافة حوله في الأدبين الفارسي والعربي؟
٢. هل التشاؤم بالغراب له صبغة دينية أم لا؟ ٣. وهل للتشاؤم حقيقة، أم أنه مجرد كلمات لها انبعاثات نفسية؟ ٤. لماذا بعث الله سبحانه وتعالى غراباً ليعلم بني آدم دفن موتاهم ولم يبعث طائراً آخر ليكون المعلم الأول للأنسان؟
الكلمات الدليلية: الغراب، التشاؤم، الخرافة، الأدب الفارسي، الأدب العربي.

المقدمة

يتشائم الناس من الغراب منذ أزمان قديمة جدا ويعتبرونها من علامات النحس ولو سألنا المتشائم عن سبب تشاؤمه من تلك الأشياء فعادة لا يعرف الإجابة لأنها أمور يتوارثها الناس على مر الأجيال دون معرفة الأسباب الحقيقية وراءها وغالبا ما يكون التشاؤم بسبب عادات ومعتقدات مندثرة قد يكون لها ما يبررها في الماضي لأنها كانت تتفق مع عقلية الناس في تلك الأزمان التي طغى عليها الجهل والاعتقاد بالخرافات. للتشاؤم جذور من الماضي والتاريخ، وربما تكون حالات نفسية معينة. أشياء كثيرة متداخلة متوارثة تخص الفرد وحده يتشائم أو يتفاعل بها، وأشياء أجمع الناس عليها من التفاؤل والتشاؤم. أشياء يتوارثونها على مر الأجيال دون أن يعرفوا منشأها، وكثير من هذه الأشياء يرتبط بمعتقدات قديمة، وغالبا ما يكون لها أسباب ومبررات ولكنها نسيت بمضى الزمن وظلت بقاياها في معتقدات الناس دون أن يدركوا لتصرفاتهم وسلوكهم سببا. هذا وأدى الغراب دوراً دينياً، حيث ذكر في القرآن الكريم في سورة المائدة بأنه كان المعلم الأول الذي علّم قاييل كيف يدفن أخاه هابيل، وكان له دور في عملية الموت والبعث، كما جاء في قصة إبراهيم (عليه السلام) التي وردت في سورة البقرة. فضلاً عن ذلك ورد في الكتاب المقدس العهد القديم، تسع مرات.

الدراسات السابقة

لقد أشار المفسرون إلى الغراب من خلال شرحهم لقصة هابيل وقاييل في تفسيرهم للآيات الكريمة (٢٧ إلى ٣١) في سورة المائدة. علاوة على ذلك بحث مفسرو التوراة في "سفر التكوين" عن الغراب في كتبهم. ومن المقالات: هناك مقال في ثلاث صفحات بعنوان «غراب الشعر» لمحمد الحجيري في مجلة الغاؤون وفيه ثلاثة نماذج عن الأبيات التي تناولت الغراب. وهناك في المواقع الإلكترونية بعض الصفحات عن حياة الغراب وسلوكه؛ رغم ذلك لمنعثر على دراسة ونقد تفصيلي مقارن بحث عن أسباب ودوافع التشاؤم بالغراب وظهور الخرافة فيه.

دوافع التشاؤم بالغراب

لاشك أن دوافع التشاؤم بالغراب متعددة بتعدد القوميات والدول؛ ففي هذا المجال

يُذكر بالتفصيل أهم دوافع التشاؤم بالغراب في كل من الأدبين الفارسي والعربي متضمنا الشواهد الشعرية في كلتا اللغتين:

١. الخرافة والتقاليد الشعبية

في الثقافات الشعبية عادات ومعتقدات شائعة منذ القدم توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل وبقيت آثارها رغم انتشار العلم والمعرفة. بعض هذه العادات والمعتقدات يصل إلى درجة الخرافة والأسطورة وكثير منها لا يتصور العقل أن يبقى موجوداً في عصر التكنولوجيا والعلوم المتطورة، أضف إلى ذلك أن الكثير من هذه العادات والمعتقدات تتعارض مع الدين وقد نهى عنها الإسلام وحذر منها.

فالخرافة هي كل ما ارتبط بعالم الخيال، فأصبح جزءاً من المعتقد البشري لأمة ما، أو شعب، أو فئة معينة من الناس؛ كما يشير البعض عندما يقول إنه سمع خبر خرافة، أى أنه خبر كاذب وغير منطقي ومن نسج الخيال، فيقال على كبير السن عندما يشتد به الكبر ويفسد عقله بأنه «شيخ خرف» أى يهذى في القول، ولا يصح أن يؤخذ قوله على محمل الجد، والخرافة تشير بجميع مفرداتها إلى البعد عن الواقع الموضوعي. والحقيقة أن ليس من حضارة على وجه الأرض تخلو من الخرافة، كونها كانت سبيل البشرية الأول في استكشاف الحقيقة، وفكّ طلاسم المحيط البيئي. ولذلك نجد الشعراء العرب والفرس يحاولون الاعتماد على الخرافة الشعبية في كل من الأدبين.

لقد كانت بداية نشأة الخرافة مع بداية وجود الإنسان على هذه الأرض، وإذا ما نظرنا لتلك الخرافة القائلة بالتشاؤم من الغراب، إذا يرجع إلى أن صوته يختلف عن باقى الطيور إذ هو غريب ومزعج أيضاً. ولا يخلو تراث أى شعب من الشعوب من الخرافات سواء كانت هذه الخرافات ضمن أساطيره أو ممارساته الشعائرية والدينية والسحرية الغير صحيحة.

هنا من الضروري أن نشير إلى نوع خاص من أنواع الخرافة وهو التطير في المجتمع العربي:

خرافة التطير في المجتمع العربي

التطير في اللغة: التشاؤم، وهو توقع حصول الشر. وسمي تطيراً؛ لأنَّ العرب - ولا

الفرس - كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمرٍ قصد عش طائر فيهبجه، فإذا طار من اليمين تيمن به ومضى في الأمر، ويسمونه: «السانح». أما إذا طار من اليسار تشاءم به، وكانوا يسمونه «البارح».

نوع آخر من التطير هو التشاؤم بصوت الغراب. فلاشك أن الإسلام لا يقر بالتطير والتشاؤم، بل كل الألفاظ، والأحاديث التي فيها ذكر التشاؤم هي في الواقع نقل للشؤم من معناه الجاهلي؛ الذي كان يربط الشؤم والتطير بالأشخاص والحيوانات، إلى معنى إسلامي يربط الشؤم بفعل الإنسان. ولهذا قالوا: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (يس: ١٩) ولم يحكى الله التطير إلا عن أعداء الرسل كما قالوا لرسولهم ﴿قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَيَمَسَّنَكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قالوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس: ١٩، ١٨) وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِن كَثُرْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١). وتشاءم قوم صالح بصالح كما ورد في الآية ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ (النمل: ٤٧) فرد عليهم نبي الله صالح (عليه السلام) فقال: «﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ يعني أن ما حلَّ بكم من شر وبلاء إنما هو بسبب كفركم وعنادكم واستكباركم، ولا يخرج عن قضاء الله وحكمته وعدله. فهذه المواضع حكى فيها التطير عن أعدائه فالإسلام لا يعترف بالشؤم لا في حيوان، ولا في إنسان، ولا في شيء، وإنما الشؤم هو: فعل الإنسان. كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء: ١٣)

وقد رفض الإمام علي (عليه السلام) الطيرة بقوله: (نهج البلاغة، ١٣٨٧ق، حكمة ٤٠٠) «الْعَيْنُ حَقٌّ وَالرُّقْيُ حَقٌّ وَالسَّحْرُ حَقٌّ وَالْقَالَ حَقٌّ وَالطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ...»
ومما ذكروا في التطير ما كتبه أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني (المتوفى: ٢٩٧ق) عن عوف الراهب في كتابه "الزهرة" (٩٥/١): نقلا عن موقع الوراق

(www.alwarraq.com)

غلط الذين رأيتهم بجهالة يلحون كلهم غراباً ينعق
إن الغراب بيمنه تدنى النوى وتشئت بالشمل الشتيت الأينق

وذكر شهاب الدين أحمد الأبيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) قائلا: (٨٨١/٢)
«العرب أعظم ما يتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه
حاتما لأنه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الأعور على جهة التطير بصرا وفيه يقول بعضهم:
إذا ما غراب البين صالح فقل به ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح بين ثم تعثر ماشيا وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح كأنك من يوم الفراق على وعد
البين وانقطع الرجا
وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالإبل وسبب ذلك لكونها تحمل أثقال من
ارتحل وفي ذلك قال بعضهم: (نفس المصدر ٨٨١/٢)

زعموا بأن مطيهم سبب النوى والمؤذونات بفرقة الأحباب
وقد نسب البحترى نسبة التطير والنحوسة إلى الغراب مخاطبا إياه بابن السوداء
حيث يُكره معاشرته، فقال:

www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=2613&r=&rc=12

إذا ما طلعنا من فم الصلح شَرَّقْ الـ غُرَابُ، وغاد النخسُ حيثُ يغورُ
وكان ابنُ سوداءٍ كرهتُ خلاطه، فَأَنَّى رَوَّاحُ دَارَهُ، وبُكُورُ
وعن قبح منظر الغراب في التقاليد الشعبية قال جلال الدين محمد الشهير بالمولوى:
(٢٧٣١ش، ١/٣٢١)

زاغ اگر زشتی خود بشناختی همچو برف از درد و غم بگداختی
الترجمة: لو كان الغراب عرف قبح منظره لكان يذوب كالثلوج من شدة الألم والهلم.
وقد وصفت الشاعرة المعاصرة الإيرانية "بروين اعتصامي" الغراب بأنه قبيح المنظر:
(ديوان، ٧٧٣١ش: ٣٨١)

طاووس را چه جرم اگر زاغ زشت روست این رمزها به دفتر مستوفی قضاست
الترجمة: ما ذنب الطاووس اذا كان الغراب قبيحا ...
يقول الجاحظ عن قبح أفراخ الغراب قائلا: (الحيوان، ٨١٣/٢) وزعم الأصمعي

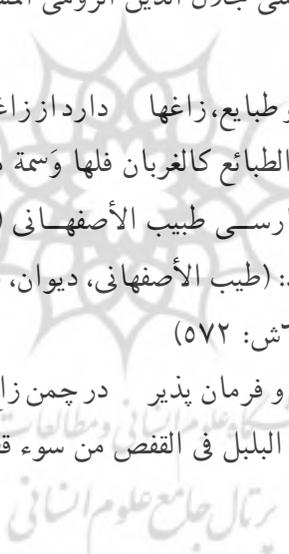
عن خلف الأحمر، أنه قال: رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقيح ولا أسيح ولا أبغض ولا أقذر ولا أتن منه. وزعم أن فراخ الغربان أتن من المهدد - على أن الهدد مثل في التتن - فذكر عظم رأس وصغر بدن، وطول منقار وقصر جناح، وأنه أمرط أسود، وساقط النفس، ومُتن الريح.

وقد شبّه الشاعر الضير، الشامي الكرمانشاهي، الغراب بالإنسان السوء والبلبل بالإنسان الطيب قائلاً: (١)

زاغ بودم در چمن يا بلبل افسرده حال در گلستان جهان گل يا گياه بودم گذشت
الترجمة: مضى العمر إن كنتُ غراباً في الحميلة أو بلبلًا كئيباً أو كنتُ ورداً في
حدائق العالم أو نبتاً.

وقد شبّه الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي المشهور بالمولوي، الطباع السيئة بالغبان: (مثنوي، دفتر ٥)

روح، بازاست و طبایع، زاغها دارد از زاغان و جفدان داغها
الترجمة: الروح كاللباز والطباع كالغربان فلها وسمه من الغربان والأبوام.
وقد وصف الشاعر الفارسي طيب الأصفهاني (١١١١ - ١٨١١ق) في قصيدته
بأن الغراب له قلب أسود: (طيب الأصفهاني، ديوان، قصيدة رقم ٨٧: ٨٢١نقلا عن:
شاهرخي محمود و...، ٦٧٣١ش: ٥٧٢)

چند باشد از قضا فرمانده و فرمان پذیر در چمن زاغ سیه دل، در قفس، بلبل اسیر
الترجمة: إلى متى سيبقى البلبل في القفص من سوء قضاءه ويمرح الغراب السوداوى
القلب في الحمائل؟! 

٢. كراهية الناس من اللون الأسود

اللون الأسود للغراب في إطار الموروث الثقافي والنفسى لون مكروه لدى عامة الناس. هذا اللون يدل الإنسان إلى الحزن والشؤم والموت؛ فالغربان سوداء فطبعي أن تُنسب إليها الحزن والشؤم والموت. يقول النابغة الذبياني: (الديوان: ٣٨)

مِن آلِ مِيةٍ رَائِحٍ أَوْ مَعْتَدٍ عَجَلانِ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مَزودِ
أَفَدِ التَّرْجُلُ غَيْرِ أَنْ رِكابِنَا لِمَا تَزَلُ بِرِحالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

زعم الغراب بأن رحلتنا غداً وذاك خبرنا الغداف الأسود

لامرحباً بغدٍ ولا أهلاً بهٍ إن كان تفريق الأحبّة في غدٍ

يصور الشاعر مشهد فراق أحبته، فالغراب شاهد على واقعة الرحيل، ويوظف الشاعر اللون الأسود، لأنه يريد أن يؤكد أن لعنة الغراب تكمن في سواده، وكأن هذه اللعنة التي حطت على الغراب فسودت لونه ما زالت تنتقل منه إلى الناس، فتندرهم بالرحيل والتفريق، وتعطى شعوراً بعدم الثقة في اللقاء مرة أخرى، فالصورة بذلك توحد لا شعورياً بين ريش الغراب الأسود، وبين كل ما يحول بين الشاعر وحببته، فيصبح كل ما يفرق بينه وبينها أسود. (محمد على، إبراهيم، ٢٠٠١م: ١٨٠-١٨١)

أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يطلقون على عبيدهم السود اسم (أغربة)؛ مما يجعل لدى عنتر بن شداد العبسي حساسية خاصة تجاه هذه الكلمة، كأنه يرى أن لونه الاسود هو سبب شقاء نفسه ومأساته، وهو سبب رحيل حبيبته عبلة. لأن لون عنتره لون غرابي أسود، وفي هذا يقول: (عنتره: الديوان: ٦٢)

يا عبّل كم يشجى فؤادى بالنوى ويرو عنى صوت الغراب الأسود

وقد ذهب الشعراء بعيداً في توظيف سواد الغراب في أشعارهم ورسم صورهم الشعرية التي وظفت سواده، فتراهم يتحدثون عنه وكأنه علامة مميزة للتشاؤم والفرق والألم واصفين الغراب بأوصاف عديدة.

وصف البحترى في قصيدة يمدح فيها اسماعيل بن شهاب، طائر الباز بالحسن بسبب بياضه والغراب بالسواد: (البحترى، ١٩٦٣م: ٨٤/١)

وبياض البازى أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

عادة نجد أن البياض في البشرة يمثّل لون السادة والأشراف بينما يمثّل اللون الأسود الغرابي لون العبيد والخدم، وخصوصاً عند الشعراء السود الذين أطلق عليهم اسم أغربة العرب للونهم الأسود الذي يرمز للدونية والعبودية، "فهؤلاء الشعراء كانوا لا يحسنون الدبيب إلى القصور ولا يتقنون التسرب إلى الطبقة العليا في المجتمع" (بدوى، عبده،

١٩٨٨م: ٤) وفي ذلك يقول عنتره: (الديوان، ١٩٩٢م: ٢٠١)

فإن تك أمى غرابية من أبناء حامٍ بها عيتنى

فَأَنَّى لَطِيفٌ بِيضِ الظبي و سمرِ العوالى إِذَا جِئْتَنِي
 فعنتره رغم سواده وسواد أمه، فهو شاعر فارس مغوار يقود الجيش في المعارك،
 فالشاعر استخدم لون الغراب للتعبير عن الدونية التي كان يعايرها قومه وغيرهم، فلون
 الغراب أدى دوراً في التعبير عن انحطاط الطبقة التي ينتمي لها أغربة العرب، وذلك بسبب
 أمهاتهم اللواتي ورثتهم هذا اللون، فنظرة المجتمع للأم السوداء نظرة ملؤها الاحتقار
 والدونية، وهذا انعكس على أبنائهم. فاستخدم الشاعر الغراب لسواده والشؤم منه.

٣. القصص الشعرية

لقد انتقل التشاؤم عبر القصص الشعرية للأطفال ولل كبار في كل من الأدبين الفارسي
 والعربي. انه لا ينسى الإيرانيون قصة الغراب والثعلب لحبيب يغمايي في كتبهم المدرسية
 عندما نسب إلى الغراب الحماقة والجهالة والذكاء للثعلب قائلاً:

زاغكى قالب پنیرى دید به دهن بر گرفت و زود پیرد
 بر درختی نشست در راهی که از آن می گذشت روباهی
 روبه پر فریب و حیلت ساز رفت پای درخت و کرد آواز
 گفت به به چه قدر زیبایی! چه سری چه دمى عجب پایى!
 پر و بالت سیاه رنگ و قشنگ نیست بالاتر از سیاہى رنگ
 گر خوش آواز بودى و خوشخوان نئدى بهتر از تو در مرغان
 زاغ می خواست قارقار کند تا که آوازش آشکار کند
 طعمه افتاد چون دهان بگشود روبهک جست و طعمه را بر بود

الترجمة: رأى غراباً قطعة جبنه فأخذها بمنقاره وطار؛ فجلس على شجرة في طريق
 يمر فيه ثعلب؛ فاقترب الثعلب المحتال من الشجرة وقال له: يا لك من غراب جميل!
 ما أجمل رأسك وذنبك ورجلك! أرياشك وأجنحتك السوداء جميلة فليس أجمل من
 اللون الأسود لو كان صوتك جميلاً لما كان في الوجود أفضل منك قط؛ فلما أراد
 الغراب التبعق ليبدى بصوته سقطت الطعمة من فيه فوثب الثعلب وأخذ الطعمة فوراً.
 وقال برويز ناتل خانلرى فى شعره (عقاب و زاغ) أى (العقاب والغراب) وهو يقارن

بين العقاب والغراب ويدعى بأن الغراب له عمر طويل بسبب أكل الجيف حيث قال:
www.smartsch.com/forums/showthread.php?p=348

گشت غمناک دل و جان عقاب چو ازو دور شد ایام شباب
آشیان داشت بر آن دامن دشت زاغکی زشت و بد اندام و پلشت
سالمها زیسته افزون ز شمار شکم آکنده ز گند و مردار
من و این شهیر و این شوکت و جاه عمرم از چیست بدین حد کوتاه؟
تو بدین قامت و بال ناساز به چه فن یافته ای عمر دراز؟
زاغ گفت: ار تو در این تدبیری عهد کن تا سختم بیذیری
دیگر این خاصیت مردار است عمر مردار خوران بسیار است
اینک افتاده بر این لاشه و گند باید از زاغ بیاموزد پند
بال بر هم زد و برجست ز جا گفت: که «ای یار ببخشای مرا
سالها باش و بدین عیش بنواز تو و مردار تو و عمر دراز
من نیم در خور این مهمانی گند و مردار تو را ارزانی
گر در اوج فلکم باید مرد عمر در گند به سر نتوان برد»
شهیر شاه هوا، اوج گرفت زاغ را دیده بر او مانده شگفت
لحظه‌یی چند بر این لوح کبود نقطه‌یی بود و سپس هیچ نبود

الترجمة: حزن فؤاد العقاب عندما أحس بفقد أيام شبابه وكان له عش في وادي
السهل. وكان بقره غراب كرهه المنظر عمر طويلا وله بطن مليء بالجيف فسأل نفسه:
لماذا كان عمري قليلا رغم جناحي الملكى ورغم عظمتى وشوكتى؟! فخطب الغراب
قائلا: كيف عُمِّرتَ ويلا رغم هذه الأجنحة الكريهة؟ فأجابه الغراب: اذا أردت الجواب
ففكر في كلامي فالجواب هو أن هذا العمر الطويل يرجع إلى أكل الجيف لان عُمُرَ آكلة
الجيف طويل جدا! فالآن على العقاب أن يتعلم العبرة من الغراب! فطار الغراب من
مكانه فقال: اعذرني يا صاحبي فعش طويلا بأكل الجيف وافتخر به! فأنا لست لائقا
بهذه الضيافة فطوبى لك الجيف والروائح النتنة فإن قُدِّرَ لي أن أموت في ذروة السماء
فهذا أفضل لي من العيش بين الجثث والجيف! فطار العقاب في السماء فتعجب منه

الغراب. ظهر العقاب كنقطة في السماء ثم انمحي عن الوجود.
فالشاعر اتهم الغراب بأنه خبيث بسبب أكله الجيف وسبب عمره الطويل يرجع إلى
نوعية أكله!

ونجد مثل هذا المشهد التشاؤمية في قول كمال الدين الباقي المشهور بـ"وحشى": (٢)
قول زاغ وغزل مرغ چمن هردو يكي است نغمه بلبل وغوغاي زغن هر دو يكي است
اين ندانسته كه قدرهمه يكسان نبود زاغ را مرتبه مرغ خوش الحان نبود
الترجمة: كلام الغراب وغزل طير الخمائل يستويان؟ وكذلك نغمات البلبل وغوغاء
الغراب يستويان؟ فهو لا يدري ان منزلتهما غير متساويين، فمنزلة الغراب تختلف تماما
عن منزلة البلبل.

ونواجه مثل هذه الصورة التشاؤمية في القصص الشعرية العربية كما نقل الدميري
في "حياة الحيوان الكبرى" قائلاً: (٣٣/٢)
ذهب الغراب ليتعلم مشية القطاة فلم يتعلمها، ونسى مشيته فلذلك صار يحجل،
فأنشد بعضهم:

إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشِيَّةً فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
حَسَدَ الْقَطَاةِ وَرَامَ يَمْشِي مَشِيَّتَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
فَأَضَلَّ مَشِيَّتَهُ وَأَخْطَأَ مَشِيَّتَهَا فَلِذَاكَ سَمَّوْهُ: أَبَا الْمِرْقَالِ

ويقول أحمد شوقي في خاتمة قصيدة قصصية له عن لسان شاة: (نقلا عن موقع:

(www.adab.com)

فإن قَوْمِي قالوا: وَجْهُ الْغُرَابِ مَشُومٌ

٤. الأمثال السائرة

ذكر صلاح الدين الصفدي نماذج من الأمثال السائرة بقوله: (١٤٠٩ق: ٤٨/١)
«...وقال أرباب طبائع الحيوان: أشأم من غراب البين إنما لزمه ذلك لأن الغراب إذا
بان أهل الدار للنجعة وقع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا منه
إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم
مخافة الزجر والطيرة...»

وفي هذا الإطار استخدم جلال الدين الرومي مثلاً من الأمثال المشتركة بين الفارسية والعربية يعنى «الذى أصبح قائدهُ غراباً ينتهى إلى المقابر»: (ديوان شمس، غزليات، غزل ٢٥١٩) وگر زاغ است آن خاطر که چشمش سوى مردار است

كسى كش زاغ رهبر شد به گورستان روانستى
الترجمة: اذا كان الخاطرُ غراباً فعينه تميل إلى الجُثثِ والجيفِ والذى أصبح قائدهُ
غراباً ينتهى إلى المقابر.

ويشبهه في العربية ما ذكره الأبيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) (٧٩/١)
ومن يكن الغرابُ له دليلاً يمرُّ به على جيفِ الكلابِ
وذكر في موضع آخر من كتابه قائلاً: (٨٦/١) «قالوا للغراب مالك تسرق الصابون؟
قال الأذى طبعى!»

وذكر "البغدادى" في "خزانة الأدب" (٧٦٢ / ٤) قوهم:
"أشأم من غراب البين" ثم قال: "فإنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل
الدار لنجعة وقع في مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله، فتشاءموا به وتطيروا منه، إذ كان
لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين.

٥. الأحاديث المنسوبة إلى النبي (ص)

إن غالبية الأحاديث الموجودة في كتب العامة تنص على جواز قتل الغراب حتى
لدى الحاج المحرم. لاشك أن الأحاديث المنسوبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
في كتب إخواننا السنة عن فسق الغراب أو قتله بحاجة إلى البحث والاستدلال العلمى
ففى هذا المجال لسنا بصدد البحث عن كذب الحديث؛ فهو يتطلب مجالا أوسع.

كُتِبَ الترمذى السلمى، محمد بن عيسى (٢٧٩-٢٠٩ق) في كتابه «الجامع الصحيح
سنن الترمذى» في «باب ما يقتل المحرم من الدواب»: (ج ٣) (حديث رقم ٨٣٧)
«حدثنا محمد بن عبد الملك... عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]
وسلم خمس فواسق يقتلن في الحرم الفأرة والعقرب والغراب والحديا والكلب العقور...
وفي (حديث رقم ٨٣٨) حدثنا أحمد بن منيع... عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم
قال يقتل المحرم السبع العادى والكلب العقور والفأرة والعقرب والحداة والغراب قال

أبو عيسى هذا حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم...»
 وقد كتب الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» عن الغراب بأنه فاسق وفق
 حديث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): (١٩٩/١) «... وفى سنن البيهقى عن عائشة
 رضى الله تعالى عنها، أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: الحية
 فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق...»
 وقد أكد فى موضع آخر من كتابه بفسق الغراب عن قول النبى (صلى الله عليه وآله
 وسلم) أيضا: (نفس المصدر، ٣١٠/٢)

«... وكان شريح هذا قد أدرك النبى صلى الله عليه [آله و] وسلم وقال أبو حاتم:
 له صحبة. ولفظ الصيد فى الآية الأولى عام، ومعناه الخصوص، فيما عدا الحيوان الذى
 أباح النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم قتله فى الحرم، ثبت عنه صلى الله عليه [وآله]
 وسلم أنه قال: خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم: الغراب والحداة والفأرة والعقرب
 والكلب العقور...»

وقال أحمد بن شعيب، النسائى (٣٠٣-٢١٥ق) فى (السنن الكبرى) (ج ٢): «ما يقتلُ
 المحرّم من الدواب» (حديث رقم ٣٨١١) «أنبا قتيبة بن سعيد... أن رسول الله صلى
 الله عليه [وآله] وسلم قال: خمس ليس على المحرم فى قتلهن جناح: الغراب والحداة
 والعقرب والفأرة والكلب العقور.»

وقال المحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى المشهور بابن ماجة فى سننه «باب
 ما يقتل المحرم» (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المشهور بابن ماجة، سنن ابن ماجة
 ٩١/٢، حديث رقم ٣٠٨٧) «حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ ... عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ: خَمْسٌ فَوَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْعَعُ
 وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحِدَاةُ.»

وقد نَبّه بدر الدين العيني الحنفى فى كتابه عمدة القارى شرح صحيح البخارى، قائلاً:
 (باب ما يقتلُ المحرّم من الدواب) فإن قلت فى أحاديث الباب، الغراب والحداة وليسا
 من الدواب ولو قال من الحيوان لكان أصوب (٤٢/١٦)

وقد جاء حديث أخرجه ابن ماجه عن ... عن النبى أنه قال يقتل المحرم الحية

والعقرب والسبع العادى والكلب العقور والفأرة الفويسقة فليل له لم قال لها الفويسقة قال لأن رسول الله استيقظ لها وقد أخذت الفتيلة لتحرق بها البيت وهذا لم يذكر فيها الغراب والحدأة وذكر عوضهما الحية والسبع العادى. (نفس المصدر ٤٥/١٦)

كل لبيب يعرف أضرار العقرب والفأرة والكلب العقور أو ربما الحدأة ولكن ما هو السبب من وراء انتساب الغراب بذلك؟!

٦. استخدام الغراب في الفنون الشعرية

لاشك أن استخدام الغراب في الفنون الأدبية الشعرية بكل أنواعها البلاغية والبديعية في أشعار الشعراء العرب والفرس ساهمت في تشويه وجه الغراب التشاؤمي لدى عامة الناس. فحسان بن ثابت هجا الحارث بن هشام بن المغيرة في البيت التالي: (الديوان: ٣٨)

فَأَجْمَعْتُ أَنْكَ أَنْتَ الْأُمُّ مَنْ مَشَى فِي فُحْشٍ مُؤَمِّسَةٍ وَزَوَكِ غُرَابٍ

يصور الشاعر هشام بن المغيرة بأبشع الصور، فيصفه بمومس فاجرة لا قيمة لها، والدونية ملازمة لها، كما ويصوره بغيراب يمشى مشية قبيحة، فالشاعر استخدم الغراب في التعبير عن كرهه وهجائه لهذا الرجل، لأن الغراب باعتقاده يحمل صفات كريهة. فكان هدف الشاعر منها هو الهجاء.

وقد شبّه الشاعر الفارسي «علي معلم» أعداء الإمام الحسين (عليه السلام) بغيران سود عندما يقول: (نقلا عن موقع آفتاب www.aftabir.com)

زاغان سپاه كين به باغ دين كشيديند از عندلييان خوش آوا كين كشيديند
الترجمة: لقد جرّت الغرaban عساكر الحقد إلى حديقة الدين فانتقمت من العنادل المتغردة.
فالغراب أصبح في رأى الشاعر مصدرا للحقد والأذى.

وفي برهة أخرى نجد أبياتا منسوبة إلى فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين (عليه السلام) رثته بها عندما وقف الغراب على جدار البيت الذي كانت فيه في المدينة فاستشعرت أن أباه قد قضى نحبه حيث كانت في بيت أم سلمة وكانت لدى أم سلمة قارورة فيها من تراب كربلاء تتعاهدها كل يوم حيث أخبرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه إن تحول دما فذلك علامة قتل الإمام الحسين (عليه السلام). (المجلسي،

١٧١/٤٥ الحديث ١٩، ١٦٤؛ الخوارزمي، ٩٢ / ٢

نعق الغراب فقلتُ من تَنعاه ويحك يا غراب

قال: الإمام فقلتُ من قال: الموفق للصواب

قلت: الحسين، فقال لي بمقال محزون أجب

إن الحسين بكر بلاء بين الأسنة والحراب

أبكى الحسين بعبرة ترضى الإله مع الثواب

ثم استقلتُ به الجناح فلم يطقُ رد الجواب

يقال إنها كانت في انتظار ركب السبايا ولما رأت وسمعت البكاء والنحيب واستيقنت باستشهاد أبيها الإمام الحسين (عليه السلام) ومن معه أنشدت الأبيات.

وأشدد الشاعر الفارسي «أميرمُعزّي» - الذي كان يعيش في القرن السادس الهجري - قائلاً: (كليات ديوان أميرمُعزّي نيشابوري: ٢٥٨)

از روی یار خرگهی ایوان همی بینم تهی در جای آن سروسهی بینم همه زاغ وزغن
الترجمة: لأرى الحبيب الغالى فى الإيوان فأرى الغراب بدلا من السرو الرفيع.
فوجود الغراب مكان السرو الرفيع دليل على تحسر الشاعر لعدم حضور من يستحق الحضور.

وقد شبه الشاعر الإيراني المعاصر "فريدون مشيرى" إدخال متقار الغراب فى الثلوج بطفل هندی غطى شفتيه بالحليب:

(<http://radiofarhang.trib.ir/community/thread-60.html>)

متقارچودربرف زندزاع، توگوئی كز شیر بیالوده دولب بجه هندو
الترجمة: عندما ينقر الغراب فى الثلوج فكأن الصبي الهندي غطى شفتيه بالحليب.
ونرى الشاعر الكبير صفى الدين الحلى يصف جاره بصفات لليوم والغراب:

(www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=20379

&r=&rc=4)

لى جارٌ كأنه البوم فى الشكل ولكن فى عجبهِ، فغراب

وقد جاء جلال الدين الرومى بتشبيه تمثلى قائلاً: (مثنوى مولوى، ١٨٩/٣)

حميتى بد جاهليت در دماغ بانگ شومى بر دمنشان كرد زاع
لقد كان للجاهليين تعصّبٌ أعمى في تفكيرهم كأنّ الغراب نعب نعبة الشؤم على دمنهم.

وقال قيس بن الملوّح المشهور بمجنون ليلى (ديوان: ١٠٢)

إذا حال الغرابُ الجونُ دوني (٣) فمقلبي إلى ليلى بعيدُ

وقال الأخطل: (ديوان، ١٤١٤ق: ٥٠)

بنّوا كلّ متفالٍ كأن جبينها اذا زحلت عنه، جبين الغراب (٤)

وقال الشريف المرتضى (www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWha

(t=shqas&qid=24290

فقد صاح قبل البين لى بفراقهم غرابٌ على فرع الأراكاة أبقعُ

٧. الاشتقاق اللغوي للفظ الغراب

إن التشاؤم من الغراب ربما يكون منشؤه من اسمه الموحي بالغرابة والفراق، من هنا كثر تشاؤمهم به واستيحاشهم من رؤيته، وأشعارهم تظهر ذلك بجلاء. لاشك أن الاشتقاق اللغوي له دور كبير في التشاؤم بالغراب والدليل على ذلك ماورد في أقوال اللغويين وبعض الشعراء من دلالة لفظ «الغراب» على معنى «الغرابة والابتعاد» كما ذكر ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ ق في كتابه «غريب الحديث» أبياتا عن جران العود قائلا: (١٤٠٨ق: ٢٠٣/٢)

جرى يوم جئنا بالجمال نرفها عقابٌ وشحاجٌ من البين يبرحُ

فأما العقابُ فهو منها عقوبةٌ وأما الغرابُ فالغريبُ المطرَحُ

ويضيف قائلا: (نفس المصدر) نسب الشاعر جرى العقاب إلى العقوبة من صاحبه والغرابة إلى الغراب فترى إلى تقارب مابين هذين التّأويلين لأنه كان مفارقاً لأحبابه وجرى العقاب بالأعقاب من الدّار ورجوع الحال إلى ما يهوى لضعف المخاوف من المفارق وقوة الآمال وهذا لأنه كان مقيماً مع أحبّته فهذا كله شاهدٌ لما قد ذكرناه.

يذكر الجاحظ بعض الاشتقاقات التشاؤمية والتفاؤلية عن أسماء الطيور قائلا:

(الحیوان، ٣/ ٢٥٦) «فهو [الأعرابي] إذا شاء جعل الحمام من الحمام [الموت] والحميم

والحمى، وإن شاء قال: وقالوا حماماتٌ فحمّ لقاؤها وإذا شاء اشتقّ البين من البان

[شجرة ذات رائحة طيبة]، وإذا شاء اشتقَّ منه البيان. ولو شاء الأعرابي أن يقول إذا رأى سوادَ الغراب: سواد سُودد [السيادة]، وسواد الإنسان: شخصه، وسواد العراق: سعف نخله، والأسودان: الماء والتمر، وأشباه ذلك - لقاله. قال: وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرفون الزجر كيف شاؤوا، وإذا لم يجدوا من وقوع شيء بعد الزجر بُدأ - هم الذين إذا بدا لهم في ذلك بدءاً أنكروا الطيرةَ والزجرَ البتة.

وجاء في "لسان العرب" لابن منظور أن من معاني الغراب: (مادة غرب) السواد الذي يتشاءم منه الناس جميعاً، والخيث والغربة والغراب يعنى كذلك البعد والاختراب، والأسود الغرابي هو شديد السواد... ومن الغراب، الغروب والأقول والمغارب، ومنه مضاء الحد في القطع وفي الضرب: "ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل"، أى الإبل الغريبة عن القطيع.

٨. تقليد الآباء

الأمر التي علمها الأبناء للإنسان عن التشاؤم بالغراب هي اعتقادات خاطئة وهذا السبب يرجع إلى تقليد الآباء. فكلها اعتقادات باطلة تلهي الناس عن الأخذ بالأسباب والانغماس في مشاكلهم لحلها. وكل هذه الأشياء كان لأهل زمان كلمتهم فيها، فمنهم من يتفاءل بها ومنهم من يتشاءم منها بشدة بل مازال البعض يتشاءم من الغراب. فهذه أشياء توارثها الأجيال دون أن يعرفوا منشأها، وكثير من هذه الأشياء يرتبط بمعتقدات قديمة، وغالبا ما يكون لها أسباب ومبررات ولكنها نسيت بمضى الزمن وظلت بقاياها في معتقدات الناس دون أن يدركوا لتصرفاتهم وسلوكهم سببا. ففي المدن عندما يشاهدون الغراب سواء كان يمر فوقهم أو يحط على مكان أمامهم، أو يسمعون صوته يتشائمون منه.

٩. الاعتماد على تفاسير الأحلام

رغم وجود الكثير من الكتب في مجال تفسير الأحلام لم تقدر الوثوق بها على وجه الدقة إلا ما اعتمد على القرآن الكريم والروايات الصحيحة لأنها قد تُنسب إلى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أو ابن سيرين أو غيرهما لا يمكننا الاعتماد عليها بسبب

قلة المصادر الموثوقة فيها. لا شك أن تعبير الرؤيا علم عظيم مهم ورد في القرآن الكريم وفي بعض الروايات الصحيحة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين (سلام الله عليهم) ومبناه على حسن الفهم والعبور من الألفاظ والمحسوسات والمعنويات أو ما يناسبها بحسب حال الرائي وبحسب الوقت والحال المعلقة بالرؤيا. وقد أثنى الله على يوسف (عليه السلام) بعلمه بتأويل أحاديث الأحكام الشرعية والأحاديث المتعلقة بتعبير الرؤيا والفرق بين الأحلام التي لا سند لها مثل ما يُنسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أقوال غير حقيقية عن الغراب من دون سبب شرعي أو علمي كما مرَّ ذكره. فلذلك انعكست تلك الكراهية على تعبيرهم رؤية الغراب في النوم، فالغراب في الأحلام: رجل معجب بنفسه بخيل، غدار يستحلُّ قتل النفس، ومَن رأى أَنَّهُ صادٌ غراباً نال مالاً حراماً، والغراب شؤمٌ إن يُرعى على زرع أو شجر، ومَن رأى كأنَّ غراباً على باب منزله، فإنه ينجى جنابة يندم عليها، ومَن رأى كأنَّ غراباً خدشه، فإنه يهلك في البرد الشديد، ومَن رأى أَنَّهُ كلمه غراب، أو ولد له غراب، فإنه يرزق ولداً فاسقاً وتدلُّ رؤيته على دفن الأموات، والتغرُّب. (انظر: النابلسي. (بلا تاريخ). ١١٤/٢ - ١١٥). وقد نجد تذبذباً شديداً في تفسير الأحلام عن رؤية الغراب في كتب تفاسير الأحلام.

١٠. الانطباعات الخاطئة عن سفر التكوين في التوراة

سفر التكوين هو أول أسفار التوراة (الأسفار الخمسة للنبي الكريم موسى عليه السلام) قيل: إن نوحاً عندما طالت به الرحلة في الطوفان أرسل الغراب رسولاً ليرى إذا ما كانت الأرض جفت وبانت اليابسة، حسب الرواية التي هي أقرب للأسطورة من الحقيقة، فالغراب لم يُعدْ لأنه انشغل بأكل جيف العرقي، ولكن لإنصاف الغراب لم يأت ما يؤكد تلك الرواية في سفر التكوين أو حتى في النصوص القرآنية، حيث جاءت النصوص في سفر التكوين كما يلي (الإصحاح: ٨)

(٦) وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحاً فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها (٧) وأرسل الغراب فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض (٨) ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض (٩) فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك لأن مياها كانت على وجه كل الأرض فمد يده وأخذها وأدخلها عنده

إلى الفلك (١٠) فلبث أيضا سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك (١١) فأنت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض (١٢) فلبث أيضا سبعة ايام آخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا (١٣) وكان في السنة الواحدة والست مئة في الشهر الأول في أول الشهر ان المياه نشفت عن الأرض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف.

وهنا ومن خلال النص الموجود في سفر التكوين، لا يوجد ما يشير على أن الغراب قد أكل لحم الجيف أو حتى ما يشير إلى عدم عودته إلى الفلك مرة أخرى. كل ما ورد وحسب النص هو تردد الغراب في المهمة. قد يعود ذلك إلى خوف الغراب من الطوفان أو تكاسله فقط، لذلك ليس من المعلوم من أين جاءت قصة انشغال الغراب بجيف العرقى؟! هذه الرواية لم تأت في القرآن الكريم، ولا ورد بشأنها أى حديث سوى رواية واحدة عن قتادة رحمه الله قال: بعث نوح عليه السلام الحمامة فجاءت بورق الزيتون، فأعطيت الطوق الذى فى عنقها وخضاب رجليها.

وهنا ومن خلال النص الموجود فى سفر التكوين لا يوجد ما يشير إلى أن الغراب قد أكل لحم الجيف، أو حتى ما يشير إلى عدم عودته إلى الفلك مرة أخرى. كل ما ورد وحسب النص هو تردد الغراب فى المهمة، قد يعود ذلك إلى خوف الغراب من الطوفان أو تكاسله فقط لذلك ليس من المعلوم من أين قد جاءت قصة انشغال الغراب بجيف العرقى. فالانطباعات الحاطئة اتهمت الغراب بأنه انشغل عن نوح بجيفة. فلذلك متهم باللؤم والغدر.

هذا وقد جاء ذكره فى القرآن فى قصة ابنى آدم عليه السلام ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لئن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِيَّ وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارَى سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧ إلى ٣١)

هذه الآيات تشير إلى:

أولاً: هناك فرق بين سرد قصة هابيل وقابيل وإرسال الغراب في القرآن الكريم والتوراة.

ثانياً: توضح إعجاز الخالق عزَّ وجلَّ بأنه بعث غراباً يوارى سوءة أخيه ولماذا لم يبعث طائر آخر؟ من خلال الآيات الكريمة نجد أن الغراب كان أول معلم لبني آدم عندما جاء ليعلم الإنسان كيف يحترم جثمان أخيه الإنسان بعد أولى الجرائم في البشرية!

النتيجة

١. على الرغم من الاختلاف في التشاؤم من بيئة لأخرى، أصبح التشاؤم بالغراب مشتركا بين الفارسية والعربية، حيث قلما ورد أن فارسياً أو عربياً أحب هذا الطائر، بل كرهه وكره رؤيته؛ فلذلك كان طائراً مشؤوماً كريهاً خبيثاً لدى الفرس والعرب.

٢. يلاحظ من خلال الأشعار الواردة في هذا المبحث أن الغراب مرتبط بشكل وثيق بموضوع فراق الأحبة والرحيل.

٣. كان هذا الطائر من أهم الطيور التي دخلت في باب الطيرة، والزجر والعيافة.

٤. عكس الغراب في تجربة الشعراء العرب والفرس الألوان التي تتلون بها نفسية الشاعر ورؤيته الذاتية، فعكس حالات نفسية موجودة داخل الشاعر، كالتشاؤم والحزن والبكاء والخوف، فكانت صورة الغراب خير ممثل لما يجول في خلدات النفس.

٥. الغراب وفق الأساطير والقصص الفارسية والعربية فهو مصدر الشؤم، فيتشاءم الناس من شكله وصوته، ويعتبرونه رمزاً للخراب والدمار، فإن الخيال الشعبي لا يتصور أن يعود إلى نوح عليه السلام بأخبار السلامة. ولذلك لا بد أن يبطئ عليهم وينشغل عنهم بحيفه.

٦. استطاع هذا المخلوق الضعيف ليعلّم الإنسان رغم قوته وجبروته دروساً وعبر.

والا فهل كان من المعقول أن طائراً ضعيفاً كالغراب يعلم الإنسان دفن الموتى؟!!

الهوامش

١. ولد في مدينة هرسين بمحافظة كرمانشاه توفي في كرمانشاه سنة ١٩٨٤ تسميته

- بالشامى يرجع إلى تصغير اسمه «شاهمراد» في اللهجة الكردية.
٢. من الشعراء المشهورين في العهد الصفوية، ولد سنة ٩٣٠ الهجرية في ومدينة بافق شرقى إيران فدرس على أساتذة يزد الكبار ثم ذهب إلى مدينة كاشان للتدريس وفي خاتمة المطاف عاد إلى يزد حتى وافته المنية سنة ٩٩٧ الهجرية.
٣. حالَ دونَه: مَنَعَهُ؛ الغرابُ الجونُ: شديد السواد.
٤. المتفال: التنتنة التي تستحق أن يُتفَلَّ عليها؛ زحلت: كشفت.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الأبشيى، شهاب الدين أحمد. (١٤١٢ق). المستطرف في كل فن مستظرف. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- ابن قتيبة الدينورى، عبد الله بن مسلم. (١٤٠٨ق). غريب الحديث. ط: ١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى. سنن ابن ماجة. طبع بيروت.
- ابن منظور. لسان العرب. ط: ٣٦. بيروت: المكتبة الكاثوليكية.
- الأخطل. (١٤١٤ق). ديوان الأخطل. شرح مهدي محمد ناصر الدين. بيروت: دارالكتب العلمية.
- اعتصامى بروين. (١٣٧٧ش). ديوان. ط: ٢. تهران: انتشارات ساحل.
- النابلسى، عبدالغنى. (لاتا). تعطير الأنام في تفسير الأحلام. القاهرة: البابى الحلبي.
- أمير معزى نيشابورى، ابو عبد الله محمد. (١٣٨٦ش). كليات ديوان أمير معزى نيشابورى. ط: ١. تهران: لانا.
- البحترى، الوليد بن عبيد بن يحيى. (١٩٦٣م). ديوان البحترى. شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفى. ط: ١. القاهرة: دار المعارف.
- بدوى، عبده. (١٩٨٨م). الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربى. ط: ١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البيدائى، عبد القادر بن عمر. (١٩٨٦م). خزنة الأدب. ط: ١. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجى.
- الترمذى السلمى، محمد بن عيسى. (بلا تاريخ) الجامع الصحيح المشهور بسنن الترمذى. بيروت: دار إحياء التراث العربى.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (١٩٥٨م). الحيوان. ط: ٢، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مطبعة مصطفى البابى الحلبي.
- حسان بن ثابت. (لاتا). الديوان، شرح محمد عزت نصر الله. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

- الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي. (١٤١٨ق). مقتل الحسين. تحقيق: محمد السماوي. ط: ١. قم المقدسة: دار أنوار الهدى.
- شاهرخي، محمود وكاشاني، مشفق. (١٣٧٦ش). آينه آفتاب. ط: ٢. لامك: انتشارات أسوه.
- الصفدي، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أبيك بن عبد الله الألبكي. (١٤٠٩ق). الشعور بالغور. ط: ١، تحقيق عبد الرزاق حسين. عمّان - الأردن: دار عمار.
- عنترة بن شداد العبسي. (١٩٩٢م). ديوان. شرح الخطيب التبريزي. هوامش وفهارس مجيد طراد. ط: ١. بيروت: دار الفكر العربي.
- قيس بن الملوّح. (١٤٢٠ق). ديوان قيس بن الملوّح. تعليق يسرى عبدالغنى. ط: ١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المجلسي، محمد باقر. (١٩٨٣م). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث.
- محمد علي، إبراهيم. (٢٠٠١م). اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، قراءة ميثولوجية. ط: ١. طرابلس: جروس برس.
- مولوى، جلال الدين محمد بلخي. (١٣٧٢ش). مثنوى معنوى. تصحيح الدكتور محمد استعلامي. طهران: زوار.
- مولوى، جلال الدين محمد بلخي. (لاتا). ديوان شمس. غزليات. تهران: لانا.
- النابعة الذبياني (لاتا). ديوان النابعة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار المعارف.
- نهج البلاغة. (١٣٨٧ق). نسخة صبحي الصالح. ط: ١. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

المجلات والصحف

- الحجيري، محمد. (٢٠٠٨م). «غراب الشعر» مجلة الغاؤون الإلكترونية. العدد ٨، تشرين الأول. بيروت.

المواقع الإلكترونية

- www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=2613&r=&rc=12
- www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&file=print&qasno=9685
- www.aftabir.com/articles/view/art_culture/literature_verse
- موقع الوراق www.alwarraq.com
- www.smartsch.com/forums/showthread.php?p=348